

تفسير ابن كثير

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْنَا ^ج قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ

يقول تعالى أمرا رسوله ، صلوات الله وسلامه عليه ، ببلاغ الرسالة وتلاوة القرآن على الناس ، ومخبراً له بأنه سيرده إلى معاد ، وهو يوم القيامة ، فيسأله عما استرعاه من أعباء النبوة ؛ ولهذا قال : (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) أي : افترض عليك أداءه إلى الناس ، (لرادك إلى معاد) أي : إلى يوم القيامة فيسألك عن ذلك ، كما قال تعالى : (فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين) [الأعراف : 6] ، وقال (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم [قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب]) [المائدة : 109] [وقال] : (وجيء بالنبیین والشهداء) [الزمر : 69] . وقال السدي عن أبي صالح ، عن ابن عباس : (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) ، يقول : لرادك إلى الجنة ، ثم سألَكَ عن القرآن . قال السدي : وقال أبو سعيد مثلاً . وقال الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، [و] عن ابن عباس ، رضي الله عنهما : (لرادك إلى معاد) قال : إلى يوم

القيامة . ورواه مالك ، عن الزهري . وقال الثوري ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ،
عن ابن عباس : (لرادك إلى معاد) : إلى الموت . ولهذا طرق عن ابن عباس ، رضي الله
عنهما ، وفي بعضها : لرادك إلى معدنك من الجنة . وقال مجاهد : يحييك يوم القيامة .
وكذا روي عن عكرمة ، وعطاء ، وسعيد بن جبير ، وأبي قزعة ، وأبي مالك ، وأبي صالح
. وقال الحسن البصري : أي والله ، إن له لمعادا ، يبعثه الله يوم القيامة ثم يدخله الجنة
 . وقد روي عن ابن عباس غير ذلك ، كما قال البخاري في التفسير من صحيحه : حدثنا
محمد بن مقاتل ، أنبأنا يعلى ، حدثنا سفيان العصفري ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : (
لرادك إلى معاد) قال : إلى مكة . وهكذا رواه النسائي في تفسير سننه ، وابن جرير من
حديث يعلى - وهو ابن عبيد الطنافسي - به . وهكذا روى العوفي ، عن ابن عباس : (
لرادك إلى معاد) أي : لرادك إلى مكة كما أخرجك منها . وقال محمد بن إسحاق ، عن
مجاهد في قوله : (لرادك إلى معاد) : إلى مولدك بمكة . قال ابن أبي حاتم : وقد روي عن
ابن عباس ، ويحيى بن الجزار ، وسعيد بن جبير ، وعطية ، والضحاك ، نحو ذلك .]
وحدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر قال : قال سفيان : فسمعناه من مقاتل منذ سبعين سنة ،

عن الضحاك [قال : لما خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - من مكة ، فبلغ الجحفة ، اشتاق إلى مكة ، فأنزل الله عليه : (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) إلى مكة . وهذا من كلام الضحاك يقتضي أن هذه الآية مدنية ، وإن كان مجموع السورة مكيا ، والله أعلم . وقد قال عبد الرزاق : حدثنا معمر ، عن قتادة في قوله : (لرادك إلى معاد) قال : هذه مما كان ابن عباس يكتمها ، وقد روى ابن أبي حاتم بسنده عن نعيم القارئ أنه قال في قوله : (لرادك إلى معاد) قال : إلى بيت المقدس . وهذا - والله أعلم - يرجع إلى قول من فسر ذلك بيوم القيامة ؛ لأن بيت المقدس هو أرض المحشر والمنشر ، والله الموفق للصواب . ووجه الجمع بين هذه الأقوال أن ابن عباس فسر ذلك تارة برجوعه إلى مكة ، وهو الفتح الذي هو عند ابن عباس أمانة على اقتراب أجله ، صلوات الله وسلامه عليه ، كما فسر ابن عباس بسورة (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا . فسيح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) أنه أجل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نعي إليه ، وكان ذلك بحضرة عمر بن الخطاب ، ووافقه عمر على ذلك ، وقال : لا أعلم منها غير الذي تعلم . ولهذا فسر ابن عباس تارة أخرى

قوله : (لرادك إلى معاد) بالموت ، وتارة بيوم القيامة الذي هو بعد الموت ، وتارة بالجنة التي هي جزاؤه ومصيره على أداء رسالة الله وإبلاغها إلى الثقلين : الجن والإنس ، ولأنه أكمل خلق الله ، وأفصح خلق الله ، وأشرف خلق الله على الإطلاق . وقوله : (قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين) أي : قل - لمن خالفك وكذبك يا محمد من قومك من المشركين ومن تبعهم على كفرهم - قل : ربي أعلم بالمهتدي منكم ومني ، وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار ، ولمن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة .